

«السيكودراما» ضيف دائم على الشاشات العربية

الدراما النفسية.. قدرات تمثيلية تضيق مع عدم منطقية الدوافع



«قابيل» سجال في إظهار القدرات التمثيلية

ويشير السيناريست نادر صلاح الدين لـ «العرب» إلى أن الأعمال الدرامية ليست أفلاما تسجيلية أو برامج وثائقية كي يتم فيها توصيف الأمراض بحذافيرها والاستعانة فيها بخبراء نفسيين، فالفن خيال يعتمد على قدرات الكاتب ومنعاونونه في بعض النقاط ويجب أن يكون نابعا من رغبته لا مُجبِرا عليه، والتقييم على الدوافع والحبكة. ويضع الخبراء توجيهات عند تناول القضايا النفسية، أهمها تحاشي أماكن التصوير التي تثير الكتابة وخلق خطوط موازية في العمل بجانب شخصية البطل وعرضها كمنهج طبيعى تمارس حياتها بشكل طبيعى بجانب مرضها، كي لا يُصاب المريض النفسي والمشاهد بالإحباط والاكتئاب مع كثرة الأعمال التي تُعالجها.

ويثير بعض كتاب السيناريو جدلية حول الالتزام بالمعايير العلمية الدقيقة في الأعمال النفسية ويعتبرونها تضييقا على خيالهم على مستندين إلى أن الدراما الأميركية القائمة على الافتراضات العلمية وتبتكر أخرى جديدة في عوالم وتسخى الدراما النفسية إلى استخراج المشاعر الكامنة في النفس وتدابيعات المشكلات الشخصية على وجوه البشر لتصبح لوحة فنية ملونة بالمشاعر العاطفية، وتمكن مشاهديها من فهم مشاعرها ومشاعره.

النفسية للإيمان في الأول، وتداعيات العلاقات غير المشروعة بين المحارم في الثاني.

الإفراط في الماضي

قدّمت الدراما المصرية العديد من الأعمال التي تحمل شقفاً «نفسياً» واضحا يُعتبر قوام العمل الأساسي، مثل «فوق مستوى الشبهات» لیسرا و«30 يوم» لأسري ياسين، و«فوبيا» لخالد الصاوي، و«هي ودافنشي» للبلبل علوي و«الخانكة» لغادة عبدالرازق.

ويقول الناقد محمود قاسم إن تناول المشكلات النفسية قديم، وارتبط بالسينما العربية، وأول من تناول أعراض الاعتلال النفسي كان الأديب إحسان عبدالقدوس في رواياته، مثل «بئر الحرمان» عن شخصية مزوجة تعيش في النهار بطبيعتها وفي الليل فتاة لعوب و«أين غلبت» عن سيدة يحاول زوجها الدفع بها نحو الجنون انتقاما من إقامتها علاقة مع آخر قبل زواجها.

وأفرطت الأعمال الدرامية النفسية في الاعتماد على الاستدعاء من الماضي واستجلاب الذكريات، ما مُثل حيرة للمشاهد في التفريق بينهما، وأحيانا يكون الاستدعاء لمواقف ضعيفة لا تمثل أهمية في السياق، ويمكن إغفالها دون التأثير في الأحداث، فلا طائل من تكرار لقطات الحب بين البطل والبطلة المتوفاة للتدليل على تأثيره النفسي بغيابها.

ابنته حبة وامرأة أخرى تدعى أنها زوجته ميرال (يسرا اللوزي).

وأفرط كاتب السيناريو إسلام حافظ كثيرا في إظهار الهدف من وراء شخصياته وتوصيل رسالة «كما تدين تدارن، ولو بعد حين» حتى اقترب من الجانب الوعظي المباشر، رغم كمية التشويق التي يتضمنها ولعبه على عنصر «السيكودراما» في تامر أسرة هادي، ومن بينهم شقيقه وزوجته عليه، من أجل تعذيبه نفسيا.

وفي خضم التركيز على الهدف ضاعت بعض التفاصيل الهامة في الحوار التي ظلت محل تفكير من المشاهدين، فلم يظهر أسباب كره عائلة البطل له وتامرها عليه، ومصير بعض الشخصيات التي شاركت في المكيدة، ودوافع البطل في قتل أحد أصدقائه، وعدم منطقية وضع كمية كبيرة من حكم الحياة على لسان طفلة صغيرة بما لا يناسب خبرتها ولا عمرها.

ويقول الناقد محمود قاسم لـ «العرب»، إن مؤلفي الأعمال الدرامية النفسية يجب أن تكون لديهم معرفة بعلم النفس والأدب معا، على عكس مؤلفي الأعمال الأخرى الذين نجحوا في تقديم تجارب مختلفة عن الدراما المعتادة.

ويعزو بعض النقاد موجة الكتابة النفسية إلى النجاح الكبير الذي حققته الفنانة نيللي كريم والكاتبة مريم نعوم في مسلسلي «تحت السيطرة» و«سقوط حر» في التعرّض إلى الجوانب وتلمس أسباب سلوكها المرتبط في معظم الأحيان بباطن مريك وعائلته. ويرواح بطل العمل هنا مثلا بين عالمه الحقيقي وعوالمه التخيلية، إذ تخترق سياق الأحداث بين الحين والآخر شخصيات تبدو أنها من صنع خياله لتتسج لنفسها مسارا موازيا مع الواقع، وتبدو حتى يهيء إليك أنها حقيقة. وتبدو شخصية يونس جبران خلال الحلقات أشبه بشخصية مركبة ومتناقضة إلى حد كبير، كما ساهم أداء النجم باسل

وعائى مسلسل «علامة استفهام» من إشكالية المبالغة إلى درجة أن العمل يُسوّف بالاعتماد على لعبة تبديل بين الشخصيات والأدوار بين الأبطال، فجأة يصبح المريض النفسي الطبيب والعكس، ليتعرّض المشاهد إلى صدمة مع معرفة أن جميع الأحداث التي تابعتها من وحي خيال مريض، وحبكته تناسب السينما أكثر من الدراما.

وعلى مدار 29 حلقة ظهر الفنان محمد رجب في دور «نوح الشؤاف» كرجل أعمال ومريض نفسي يحاول الهروب من ماضيه، وهيثم أحمد زكي في دور الطبيب «سامح» الذي يعالجه، قبل أن تأتي الحلقة الأخيرة، ليلجأ أن المريض النفسي هو الطبيب سامح وجميع الحلقات السابقة كانت هلاوس في عقله من إعطائه أنوية خاطئة من قبل نوح الذي يتضح أنه طبيب تعدد الانتقام منه بسبب ماضيه المشين.

مبالغات فنية

على عكس مسلسلي «قابيل» و«علامة استفهام» في إظهار الجانب النفسي لدى الشخصيات الرئيسية، جاء «قمر هادي» الذي دار عن رجل الأعمال «هشام أبوالمكارم» (هاني سلامة) الذي يتاجر في المخدرات ويتعرض إلى حادث سيارة فيفقد ابنته ويجافي زوجته مريم (داليا مصطفى)، ثم يعاقر الخمر، فيصاب في حادث سيارة آخر يستيقظ منه ليجد

معا مع قصة تدور عن ضابط شرطة اسمه طارق (محمد ممدوح) فقد زوجته، ويحقق في جرائم غامضة أعقبت نشر سيدة صورة عبر موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك، مذيلة بجملة «انتظروا تصفيتي»، ليستمر في عمليات البحث التي تصل إلى درجة اتهامه بالتورط في القضية قبل معرفة القاتل الذي يقف خلفها ويحمل اسما مستعارا «قابيل».

ولعب المسلسل على ثلاثة أبطال أصيبوا بأمراض نفسية، بين الضابط طارق المصاب بالشرير وفرايانيا ويعاني هلاوس سمعية وبصرية ويخيل زوجته المتوفاة، و«ادم» (محمد فراج) وهو طبيب نفسي يعاني من ميول سادية، توقف عن إدمان المخدرات وتحول إلى قاتل بعد اكتشافه خيانة زوجته، وسما (امينة خليل) فتاة مستهترّة ومنتزدة ومريضة نفسية كان يعالجه آدم قبل أن تتطوّر مساعدته في جرائمه.

وجذب العمل المشاهدين حتى معرفة القاتل، ليتحول المسلسل من نفسي إلى حركي أكثر، لكنه في الكثير من المشاهد طغت عليه الفكرة الأميركية المتخيلة عن الجرائم المتسلسلة، وضاعت بوصلة الوازع الرئيسي وراء الجرائم، فمن غير المنطقي أن يكون دافع قابيل للقتل وراءه خيانة زوجة ورغبته في الانتقام فقط، لأن قائمة ضحاياه كانت متنوعة بين الجنسين ولم ترتبط بارتكابهم خطيئة الخيانة.

تتّبت الأعمال الدرامية النفسية أقدامها على الساحة العربية، معتمدة على تعطش المشاهدين لأعمال تكشف أغوار الصراع داخل النفس البشرية، تصل بهم في نهايتها إلى حالة من التطهير وتفريغ مشاعرهم وانفعالاتهم المكبوتة في موجات من التعاطف أو الاشمئزاز حيال شخصيات ومواقف ليست بعيدة عما يصادفونهم في حياتهم المعتادة.

محمد عبدالمهدي
كاتب مصري

القاهرة - باتت مسلسلات «السيكودراما»، وهي الأعمال التي تركز على الأبعاد النفسية، ضيفة دائمة على الشاشات العربية على مدار الأعوام الخمسة الأخيرة، مع إقبال مستحدث من الممثلين وكاتب السيناريو عليها، باعتبارها وسيلة تمكنهم من إبراز قدرتهم على تجسيد المعاناة، وتختبر نجاحهم في تحريك مشاعر الجمهور تجاه الشخصية التي يقدّمونها، بتحقيق التعاطف معها أو التنفير منها.

وقدّمت الدراما المصرية مؤخرا ثلاثة أعمال تجمع بين الصراع النفسي والغموض، ممثلة في مسلسل «قابيل» بطولة محمد ممدوح، و«قمر هادي» بطولة هاني سلامة، و«علامة استفهام» بطولة محمد رجب، نجحت جميعها في لفت انتباه الجمهور، لكنها أغفلت، في خضم تركيزها على المرض النفسي وملاحمه، إبراز الدوافع المنطقية لسلوكيات أبطالها في بعض المواقف.

أزمات الواقع تغري كتاب السيناريو بالمزيد من أعمال «السيكودراما»، والاستعانة بالخبراء النفسيين تقوّض حرية الأفكار

وتراهن هذه النوعية من الأعمال على جودة التجربة البصرية لخلق المزيد من العناصر المكتملة للمشاهد النفسي، مع توظيف جيد لكاميرا التصوير وزيادة عناصر الغموض والتشويق، لكن لا يزال الكثير منها ينقصه تطوير المضمون، ما أدخل العديد منها ضمن قائمة «الأسلوب الجميل الذي ينقصه المحتوى الجيد». واعتمد مسلسل «قابيل» على خلطة جيدة من التشويق و«السيكودراما»

«الكاتب» حبكة بولييسية تخترق المساحة بين العشق والجنون

مسلسل «الكاتب» يسلط الضوء على طبيعة العلاقات التي تحكم عالم المال والصحافة وصناعة السينما

البولييسية العالمية. وهذا الأمر ربما كان سببا في اتهام صنّاع العمل بالسرقة أو الاقتباس، وهو ما أشبع وتم الترويج له عند عرض الحلقات الأولى من المسلسل، فقد اتهم الكاتب السوري خلدون قتلان فريق العمل باقتباس الفكرة من أحد نصوصه السابقة، ما دفع الشركة المنتجة للعمل إلى نفي تلك المزاعم في بيان لها، معلنة أن تلك الاتهامات غير دقيقة ولا تمت للحقيقة بصلة.

ووفق المخرج رامي حنا في مسلسل «الكاتب» عبر اختياراته الجيدة للكادرات وزوايا التصوير، كما أعطت الإضاءة بعدا آخر للصورة ساعد على تأكيد أجواء الغموض التي سادت النص. وكان لافتا خلال المسلسل ذلك التوظيف الجيد للجماهير البصرية التي اعتمدت في المقام الأول على الألوان المحايدة والظلال الخفيفة، لكن يؤخذ عليه بطة الأحداث والإطالة المفتعلة في الحوارات. ومع ذلك، فهو بشكل عام يقدم لنا صورة أنيقة لعمل جيد يستحق المشاهدة.

نتعرف من خلال الأحداث على شخصية ماجدولين التي ملازمت تعاني من تأثير حادث اليم تعرضت له في طفولتها حين عاشت عن قرب محاولة اغتيال والدها من قبل أشخاص مجهولين، وتظل هذه الصور التي رأتها الطفلة في طفولتها عالقة في مخيلتها، حتى أنها تظهر من جديد في قصص وأوهام تتسجها خلال الأحداث، فلا نعرف هل هي حقيقة أم من وحي الخيال؟ وكل هذه التفاصيل الكثيرة والغامضة تدفع المشاهد إلى وضع سيناريوهات مختلفة للأحداث أو الجرائم، والمشاركة في البحث حول هوية القاتل الغامض بين أبطال العمل.

إلى أن نتفحّنا الأحداث في النهاية بأن ماجدولين نفسها هي ذلك القاتل الغامض، فهي قارئة مهووسة بالكاتب، وتظن أنها تحميه بأفعالها عن طريق القضاء على أعدائه.

ومن هناك يتصاعد أداء الممثلين في المسلسل تدريجيا وتتحوّل شخصياتهم مع مجريات الأحداث، فالأشرا لا يظنون أشراها حتى النهاية، وكذلك الأخيار، حيث يتلاحم الشر والخير في خضم الأحداث، حتى أننا نتعاطف في الحلقات الأخيرة مع شخصيات كنا نظن أنها شريرة إلى أن يتضح أنها مجني عليها.

النص يستلهم سياقه العام من روح الأدب العالمي وتتقاطع معالجته مع معالجات الكثير من الروايات والأفلام

خطا في إعطاء الشخصية بعدا آخر، بطريقته في الأداء وتقمّصه اللافت للدور. وأداء باسل خياط هنا، وهو أداء لا يتوافق إلا مع شخص غير سوي، يضع الكثير من علامات الاستفهام حول شخصيته وإمكانية ارتكابه للجرائم المتتالية التي تقع خلال المسلسل، وهو الأمر الذي يساهم في إضفاء نوع من الغموض والحيرة على سياق العمل ويزيد من وقع المفاجأة التي تنتظر المشاهد في النهاية.

وتلمس أسباب سلوكها المرتبط في معظم الأحيان بباطن مريك وعائلته. ويرواح بطل العمل هنا مثلا بين عالمه الحقيقي وعوالمه التخيلية، إذ تخترق سياق الأحداث بين الحين والآخر شخصيات تبدو أنها من صنع خياله لتتسج لنفسها مسارا موازيا مع الواقع، وتبدو حتى يهيء إليك أنها حقيقة. وتبدو شخصية يونس جبران خلال الحلقات أشبه بشخصية مركبة ومتناقضة إلى حد كبير، كما ساهم أداء النجم باسل

يعدّ مسلسل «الكاتب» واحدا من بين ثلاثة أعمال درامية عربية تم اختيارها للعرض على منصة نتفليكس خلال شهر رمضان المنقضي، بالتزامن مع عرضها على عدد من الفضائيات العربية، في أول تجربة تخوضها المنصة الرقمية الشهيرة لعرض المحتوى الدرامي العربي.

ناهة خزام
كاتبة مصرية

من بين الأعمال الدرامية المشتركة التي عرضت هذا الموسم يبرز مسلسل «الكاتب» للمخرج رامي حنا، والذي تخوض فيه صاحبة النص الكاتبة السورية ريم حنا أول تجربتها مع الدراما البوليسية. ويشارك في بطولة المسلسل النجم السوري باسل خياط والنجمة اللبنانية دانيلا رحمة ومجموعة كبيرة من النجوم اللبنانيين.

وتدور أحداث مسلسل «الكاتب» حول كاتب روايات بولييسية شهير، وهو يونس جبران الذي يلعب دوره النجم باسل خياط وفي المسلسل يجد الكاتب الشهير نفسه متورطا ومتهما في جريمة قتل، الضحية هنا هي عشيقته السابقة تماارا (ريم خوري) التي تهوى التمثيل وتقرّب منه من أجل الحصول على فرصة عمل في أحد أعماله الروائية التي يتم تحويلها إلى أفلام سينمائية. تتطور الأحداث سريعا منذ الحلقة الأولى، إذ تبدأ رحلة البحث عن القاتل



شخصيات غامضة بباطن عاثر